ذكريات عشوائية من أطراف العالم الداخلي

Laure Ghorayeb

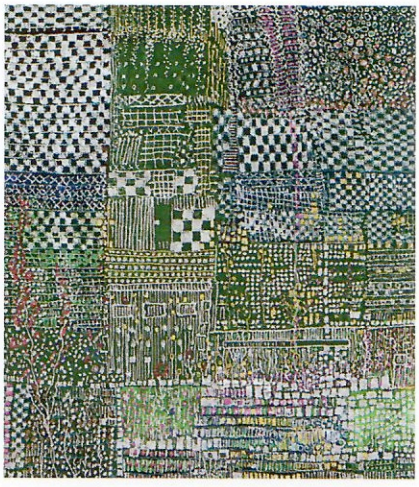

"وجوه و أماكن" جديد في كاليري جانين ربيز، بعض المعرض الأول للعنوان ذاته ١٩٩٤ . أكثر من١٠٠ لوحة من المواد المختلفة على الخشب، تروي بالوجوه و المناظر و الشعارات بعد ما اكتنزت به حياة هيكات كالان خلال أعوام عديدة من الترحال ثم العودة إلى لبنان.

التنزه مباح بين هذه الأعمال الصغيرة، المربعة، الحاملة صفحات من الحاضر و المستندة إلى صفحات من الطفولة، على ذكريات عشوائية ملمومة من أطراف مخبأ داخل العالم الداخلي اللاوعي. و التماس الفواصل بين هذا الوجه، و هذا البيت، و هذا المكان، لا يتطلب الجهد الكبير، لأن في ثنايا كل عمل أجزاء منها، متداعية، متناقضة، متلاصقة، منبعثة أو منقضة على بعضها البعض من دون ظهور أية علامة عنف أو إغتصاب لحقوق كل العناصر المكونة الجزء الأساسي للوحة.

تدعونا كالان إلى قراءة صفحات من يومياتها الغنية والتي كتبت خلال رحلاتها العديدة، أكانت نحو أقاصي القارات أم نحو دهاليز "الأنا": ذاك المخزن الذي لا ينضب بل يكتسب دائماً معرفة، و تفاعلات حسية، و علاقات إنسانية و جسدية و جنسية و إباحية، و مكونات روحانية حضارية متعددة. جمعت زادها و انتقت منه القليل المكثف و المقوى بالأطهر و الأكثر براءةً، أي قارب في رسومها النهج الذي يسير ياد الطفل عندما يتفحص ملامح وجه يعرفه و يود تخليده بخطوط قليلة تعيد نظرته، بسمته، عبسته أو بشاعته، بغض النظر إن كان محبباً أم بغيضاً. و كالطفل أيضاً تعري هيكلية الرأس، و تكتفي بدائرة أو بمستطيل كروي الأسفل ثم تعلق دائرة العينين، و خطين رفيعين احدهما متصل بالأنف غير المكتمل، و حبة خرز للتذكير بالفم.

نقيض العري

عندها تبدأ اللعبة– التسلية، التفاصيل الدقيقة، و المنمنة تخلق النقيض لعري الوجه. و تألف الزخرفات المتعددة، المختلفة الشكل و الحجم و اللون، الاطار الشرقي المنطلق من اجتهادات ذهنية أحياناً، و هذيانات آلية أحياناً أخرى. يسجن هذا الاطار الوجه و يبرز تعبيره المبسط و الرافض اية ثرثرة تسلبه رصانته أو نقاءه. وأن حاولت الانتقال إلى مسار مخالف لرسم الوجوه، فإنها تضيف إليه إشارات قليلة تقلب بها الأهداف المرئية لشكلها و تحملها معاني إباحية مثيرة، أو مقطبة مأساوية، أو ساخرة كار يكاتورية، أو ساذجة بريئة حتى البلاهة.

تعلق كالان أهمية كبرى على الوجوه التي لا تتشابه إطلاقاً، بل تختلف عن بعضها البعض و كأنها تأريخ الأجناس البشرية. بينما امكنتها، أي

المواقع و البيوت، بأنها مأخودة غالباً من شكل هندسي تختصره بالهيكلية الواقعية للحيطان المتوازية الخطوط، يعلوها سقف من القرميد، ثم حياكة أو نقش البيت يأتي تتمة مزخرفة و بألون زاهية مختلفة، تقترب من نسيج القماش أو السجاد. و تركز كلان في معرضها هذا، على وضع في وسط الخشبة الصغيرة، الوجه، أو الموقع، فتنهيه بإتقان و تلونه بلون موحد، و تضيف إليه بعد البقع الصغيرة لإبراز العين أو الأنف أو الفم. عندها، و بعد أن تكون كونت الموضوع الأساسي، تغص في خطوط، و تعاريج و رسوم أوتوماتيكية. بذهنية مسترضية انما بيد متمكنة كلياً من كل حركة أو إشارة، أو زاوية، فلا مكان للمجانية بعد أن تكون بدأت أول قطبة من الحياكة في كل المساحة التي يتم تعبئتها بالزخرفة نفسها، و تعتمد كلان اسلوبين مختلفين، الأول في التركيز على إختيار العنصر الأساسي (الوجه أو الموقع) و تنظيفه ذهنياً من كل الشوائب. و الثاني في الزخرفة الفنتازية و المفلتة من كل قيود عقلانية في الاستعارات الغرافية العربية الاسلامية، أو اليونانية الهندسية القديمة. و يتم هذا العمل بطريقة شبيهة للحرفية من دون الوقوع فيها تماماً، فكالان تجيد خلق التوازنات فالالوان، و المساحات المعبأة بغزارة و كثافة، مقابل أو خارج الشكل الأساسي الموحد اللون، و الخالي من كل حركة ثانوية تفقده وقعه و قوة تعبيره. و هكذا تتناسق ولا تتمازج، الأحجام المتفاوتة المساحات و الفارغة من الزخرفات أحياناً، و المثقلة بها حتى الإختناق أحيانا أخرى.

و النظر إلى تلك الرسوم يولد شيئاً من الحنان و الحنين. إنه عالم طفولي و ناضج في آن واحد، يحكي قصصاً غريبة عبر " الوجوه و الأمكنة".

Source: An-Nahar
Auteur: Laure Ghorayeb
Date: 19/04/1997